وليس لها إلا أن تحكي لكي تمتع.

ولذا فإنها تحيا في الموت أو بين جدارين، وها هي تقول: (أنا أحيا في الموت كمعظم هذه الكائنات الصغيرة التي اختارت الفص الملون من فصوص الدماغ للتفكير والتذكر)[20].

أيقظت المرأة ذاكرتها فرأت فيها جداراً من ورائها وجداراً من أمامها وتعلمت من هذا أن اللغة لا تسلي وإنما تنبه، ولا تمتع وإنما ترغب ولا تخفي وإنما تكشف.

وأن الذاكرة لا تقص لنا ما مضى فحسب ولكنها أيضاً تكشف لنا ما هو أمام، مثل الكشافات الضوئية العالية التي كشفت لزرقاء اليمامة شجراً يمشي على بعد مسيرة ثلاثة أيام. وكذا هي الزرقاء المعاصرة التي نبشت عن ذاكرتها لترى كم هو ضيق ذلك الحيز الذي تستطيع التحرك فيه: فوهة في حجر فيما بين جدارين.

تخلصت المرأة من خطابها الرومانسي الرقراق الحالم ودخلت في خطاب كاشف مثل عيني الزرقاء، وهو خطاب لا يريح ولا يهدهد ولا يفرغ العواطف من الصدور المثقلة ولكنه خطاب يفصح ويعلن ولا يجامل.

غير أن صواحب هذا الخطاب يجدن أنفسهن ـ اليوم ـ في تفرد غير مريح إذ إنهن يجدن صعوبة في جعل العالم يسمع ويصدق، ومثلما كذب قوم الزرقاء دعواها عن الخطر القادم فإن ثقافة العصر تمر على (ذاكرة المرأة) وتنظر إليها مثلما تنظر إلى مواد المتاحف أو لوحات المعارض. إنها شيء للسياحة البصرية والمتعة الوقتية والإعجاب المجامل، وليست شيئاً للتصديق والفعل، ولذا فإن أمام المرأة طريقاً طويلاً وزمناً مديداً تمر فيه بين جدارين وجدارين وجدارين وأحجار كثيرة

(20) السابق.